تيار المستقبل السوري

مكتب شؤون الأسرة

قسم البحوث والدراسات

دراسة رقم (١) | ٢٠٢٣/٠٨/١١ م

التّداعيات النفسيّة للحرب على أطفال سورية

مقدمة

الحربُ واحدةٌ من أكثر التّجارب المؤلمة والمرعبة التي يمكن أن يمرّ بها الإنسان، وخاصَّةً الأطفال. فالأطفالُ هم أكثر الفئات عرضةً للتّأثيرات السلبيّة للحرب على صحّتهمُ الجسديّة والنّفسية والاجتماعيّة. فهم يفقدون أحبّائهم ومنازلهم ومدارسهم وأصدقائهم، ويتعرّضون للعنف والإصابات والتّشرد والجوع والفقر وغيره. كما يعيشونَ مشاهدَ مروعةً من الموت والدّمار والقتل، ممّا يسبّبُ لهم صدماتٍ نفسيّة قد تستمرّ معهم مدى الحياة.

أطفال الحرب في سورية، هم جيلٌ كاملٌ من الأطفال الذين لم يعرفوا سوى الحرب مُنذ اندلاعها عامَ ٢٠١١.

تأثيرات الحرب على الأطفال:

تأثَّر حوالي ١٤,٦ مليون شخصٍ سوريٍّ بالحرب، من بينهم ٦,١ مليون طفلاً داخل سورية، و٢,٥ مليون طفلٍ لاجئٍ في الدّول المجاورة[١]. وقد تعرّض هؤلاء الأطفال لانتهاكاتٍ جسيمةٍ لحقوقهم، بما في ذلك القتل والإصابة والتّجنيد والاستغلال وإساءة المعاملة والحرمان من التّعليم والصحّة والغذاء.

وفقًا لتقرير لليونيسف[٢]، فإنَّ حوالي ٩٠٠ طفل في سورية فقدوا حياتهم أو أصيبوا في عام ٢٠٢١، بزيادة بنسبة ٣٥٪ عن عام ٢٠٢٠. كما أنَّ حوالي ثُلث هذه الإصابات ناتجةٌ عن الألغام الأرضيّة والذّخائر غير المنفجرة، التي تُستخدم بشكلٍ متزايد في الحرب. كما أن حوالي ٢,٤٥ مليون طفلاً في سورية و٧٥٠ ألف طفلٍ سوريٍ إضافيٍ في الدّول المجاورة لا يذهبون إلى المدرسة، كما يعاني أكثر من نصف مليون طفل - دون سن الخمس سنوات - من التّقزّم نتيجة سوء التّغذية المُزمن.

ولم تكن الجروح الجسديّةُ هي ما يؤذي أطفال الحرب في سورية، بل أيضًا الجّراحات النّفسية! فقد أظهرت دراسةٌ أجرتها منظّمة "إنقاذ الأطفال"[٣] على ٤٥٠ طفلاً سوريًا داخل سورية وخارجها، أنَّ ٧١٪ منهم يعانون من مستويات

---

[١] سوريا: تقرير يرصد انتهاكات جسيمة تعرض لها أطفال "لم يعرفوا سوى الحرب "ويدعو لإعطاء أولوية للسلام | أخبار الأمم المتحدة (un.org)

[٢] سوريا: يعاني الأطفال من جراح جسدية ونفسية بعد ١١ عاماً من الحرب(unicef.org)

[٣] بعد عشر سنوات على بدء الصراع: من يحمي أطفال سوريا؟ BBC News - عربي

عالية من الضِّيق النفسيِ، وأنَّ ٤٨٪ منهم يعانون من مشاكل في النوم، وأن ٧٨٪ منهم يعانون من الخوف والقلق، كما أَنَّ ٥٩٪ منهم يعانون من الشُّعور بالحزن والاكتئاب، وأنَّ ٤١٪ منهم يعانون من الشُّعور بالذَّنب والخجل. وقد أبدى الأطفال رغبةً في الحصول على دعمٍ نفسيَ واجتماعيَ لمساعدتهم على التَّغلب على تجاربهم المؤلمة.

ضرورة معالجة هذه التَّداعيات النفسيّة:

إنَّ معالجة تداعيات الحرب على صحّة ورفاهيّة أطفال سورية هي أولويَّةٌ إنسانيّةٌ وأخلاقيّةٌ. فهؤلاء الأطفال هم مستقبل سورية والعالم، ويحتاجون إلى الحماية والرِعاية والتَّعافي. ولهذا الغرض، تقوم اليونيسف مثلاً وشركاؤها بتقديم خدماتٍ حيويَّةٍ للأطفال المتضرِّرين من الحرب، مثل توزيع المساعدات الغذائيّة والصحيّة والتعليميّة، وإزالة الألغام والذَّخائر غير المنفجرة، وتقديم الدَّعم النفسيَ والاجتماعيَ للأطفال وأسرهم، وإعادة تأهيل الأطفال المجندين أو المستغَلِّين، وإعادة توطين الأطفال اللاّجئين أو إدماجهم في المجتمعات المُضيفة

وفي السياق ذاته، حرص تيار المستقبل السوري من خلال برامجه الموجَّهةِ للأطفال في سوريّة على إعادة العشرات منهم لمقاعد الدّراسةِ وتمكينهم من اكتسابِ حقِّ التعليم، كما قام برعايتهم من خلال إعداد برامجَ إغاثيَّةً مستمرَّة تستهدفُ استقرارهم الصحيّ وأمنهم الغذائيّ معاً، بالإضافةِ لتخصيصِ حصصَ خاصَّةً للدَّعم النّفسيَ والاستقرار العاطفيَ لديهم.

ولكنَّ هذه الجهود كلّها لا تكفي لحلِّ مشكلة أطفال الحرب في سورية! فلا بدَّ من إيجاد حلٍّ سياسيَ شاملٍ ودائمٍ لإنهاء الحرب، وإحلال السّلام والأمن على كامل التّراب سورية. كما يجبُ على المجتمع الدوليَ أن يزيد من التزامه بدعم حقوقِ وحاجات أطفال سورية، وأن يضغط على جميع الأطراف المُتصارعة لوقف انتهاكات حقوق الإنسان هناك، وخاصَّةً حقوق الأطفال. فهم لا يستحقون أن يكونوا ضحايا لحربٍ لم يختاروها، بل ويستحقّون أن يكونوا أبطالاً لسلامٍ نختاره نحنُ لهم ولأجلهم.

إنَّ أطفال الحرب هم من أكثر الفئات التي تحتاج إلى الدَّعم النفسيَ للتَّخلص من التَّداعيات السلبيّة للحرب على صحّتهم ورفاهيّتهم، وهناك بعض الخطوات التي يمكن اتّباعها لمساعدة الأطفال على التغلب على صدمات الحرب، وهي:

- توفيرُ بيئةٍ آمنةٍ ومُحبة للطّفل، حيث يشعر فيها بالقبول والانتماء والثّقة.
- تقديم المساندة والرِعاية الذَّاتية للطفل من قِبَلِ مختصِّين، مثل الاحتضان والتَّربيت والإشادة والتَّشجيع.
- إقامة علاقة قائمةٍ على الثِّقة والاحترام مع الطفل، والاستماع له بعنايةٍ والاهتمام بشكواهُ ومشاعره.
- استخدام اللَّعب العلاجيَ وسيلةً للتَّعبير عن المشاعر والصِّراعات الداخليّة، وتنمية المهارات الحركيّة والانفعاليّة والعقليّة.
- تشجيع الطِّفل على المشاركة في الأنشطة البدنيّة والأشغال اليدويَّة والرّسم والتَّلوين وغيرها من الوسائلِ المفيدةِ لصرفِ الطّاقة بما هو مفيدٌ ونافعٌ وزيادة مستوى إنجازهم وإبداعهم.
- ترتيبِ خطَّةٍ للمتابعة مع الطفل، وتقييم تقدِّمه وتحديد احتياجاته، وإشراك أسرتهِ ومحيطهِ ومجتمعهِ في دعمه.

دور المدارس في معالجة التّداعيات النفسيّة على أطفال الحرب:

دور المدارس في تخفيف آثار التّعذيب على أطفال الحرب هو دورٌ محوريّ ومهمّ وحيويّ، فالمدارس تُعتبر ملاذاً آمناً ومحفّزاً للأطفال الذين عانوا من الحرب والتّعذيب، والمدارس تُقدِّم للأطفال فرصةً للتّعلم والتّطور والتّفاعل مع أقرانهم، والتّخلص من الصّور المؤلمة التي شهدوها في حياتهم، كما تُقدِّم المدارسُ دعماً نفسياً واجتماعياً للأطفال من خلال المُعلِّمين والإرشاديين والبرامج التربويّة والترويحيّة.

إنَّ المشاركة في قطّاع التّعليم يمكن أن يُساهم في تحسين صحّة ورفاهيّة الأطفال المتضرّرين من الحرب، والمدارس يمكن أن تكونَ مساحاتٍ للشّفاء والتّعافي. فالتعليم يزيدُ من ثقة الأطفال بأنفسهم وقدراتهم، ويقوّي شعورهم بالهويّة والانتماء، ويحفّزهم على تحقيق أهدافهم وطموحاتهم. كما يزوّد التّعليمُ الأطفالَ بالمهارات والمعارف التي تساعدهم على التّكيّيفِ مع التّغيرات في حياتهم، وتَجنُّبِ المخاطر، وحلِّ المشكلات، واتِّخاذ القرارات.

كذلك، يوفّر التّعليم فرصةً لإعادة بناء الرّوابط الاجتماعية بين الأطفال أنفسهم، وبينهم وبين المجتمع. فالتّواصل مع الأصدقاء والزّملاء يخفّفُ من شعور الأطفال بالوحدة والعزلة، ويزرع فيهم قيم التّضامن والتّعاون والسّلام. كما يساعد التّواصل مع المعلّمين والإرشاديين على تقديم الرّعاية والإحساس بالأمان للأطفال، وإرشادهم إلى المصادر المتاحة للدّعم النفسي.

ولكن لكي تؤدي المدارس دورها في تخفيف آثار التّعذيب على أطفال الحرب، يجب أن تكون مجهزة بالإمكانات والإستراتيجيّات اللاّزمة. فلا بدَّ من توفير بيئة تعليميّة آمنة وصحيّة وشاملة لجميع الأطفال، بغضِّ النّظر عن جنسهم أو عرقهم أو دينهم أو إعاقتهم. كما يجب تدريبُ كوادر المعلّمين على كيفية التّعامل مع الأطفال المُصابين بصدمات نفسيّة أو إعاقات جسديّة، وكيفية تقديم التّدخلات المبكّرة والمناسبة، كما يجب تطوير المناهج الدراسيّة والأنشطة التعليميّة لتكونَ متناسبةً مع احتياجات ومصالح الأطفال، وتعزيز قيم الحقوق الإنسانيّة والمواطنة والديمقراطيّة.

دور الأهل في تخفيف تداعيات الحرب على الأطفال:

دور الأهل والعائلة في تخفيف تداعيات الحرب على الأطفال هو دورٌ حاسمٌ وأساسيّ، فالأهل والعائلة هم أول مصدرٍ للدّعم والحماية والرعاية للأطفال في ظلِّ الظروف الصّعبة التي تفرضها الحرب، فالأهل والعائلةُ يمكنهم أن يقدِّموا للأطفال بيئةً آمنةً ومُحبّة ومُحبَّبة، تساعدهم على التّغلب على الخوف والقلق والصّدمات التي شهدوها أو تعرّضوا لها بسبب الحرب، كما يمكنهم أن يقدِّموا للأطفال الإرشاد والتّوجيه والتّثقيف، لتعزيز قدراتهم على التكييّف والتّعلم والتّطور، كما يمكنهم أن يقدِّموا للأطفال الدّعم النفسيّ والاجتماعيّ، لتحسين صحتّهم ورفاهيّتهم وشعورهم بالثّقة والانتماء.

وهنا، وجبَ على الأهل والعائلة أن يكونوا على درايةٍ بآثار الحرب على الأطفال، وأن يتعاملوا معها بطرقٍ مناسبة. فقد تختلف ردود فعل الأطفال تبعًا لعمرهم وشخصيّتهم وظروفهم. فبعض الأطفال قد يصابون بالانسحاب أو الصّمت أو الخجل وغيره، وبعضهم قد يصابون بالانفعالِ أو الغضبِ أو العدوانيّة وغيره، وبعضهم قد يصابون

بالإرهاق أو الإحباط أو الملل، كما قد يظهر على بعض الأطفال أعراضٌ جسديّةٌ مثل الصّداع أو الأرق أو فقدان الشهيّة[1]

ولذلك، يجب على الأهل والعائلة أن يكونوا حسّاسين وصبورين مع الأطفال، وأن يستمعوا إلى مشاكلهم وشكواهم، وأن يحترموا مشاعرهم وآرائهم، وأن يشجّعوهم على التّحدث عن تجاربهم المؤلمة، دون إجبارهم أو إذلالهم. كما يجب على الأهل والعائلة أن يزودوا الأطفال ببرامج يوميّةٍ روتينيّة، مثل المذاكرة والأكل والنوم، لإضفاء شعور بالانضباط والسيطرة، وكما يجب عليهم أن يشاركوهم في الأنشطة التروحيّة والترفيهيّة، مثل اللّعب والغناء والرّسم، لإضفاء شعورٍ بالمتعة والإبداع.

وفي حالة عدم تحسن حالة الأطفال، أو تفاقم معاناتهم، يجب على الأهل والعائلة أن يلجؤوا إلى المساعدة المهنية من الخبراء في مجال الصحّة النفسيّة والاجتماعيّة، كالأطباء والمعلّمين والإرشاديّين والمنظّمات الإنسانيّة، فهؤلاء الخبراء يمكنهم تقديم التّشخيص والتّقييم والعلاج اللّازم للأطفال، بحسب حالتهم واحتياجاتهم، كما يمكنهم تقديم الدّعم والتّدريب للأهل والعائلة لتحسين قدرتهم على التّعامل مع الأطفال.

دور المجتمع الدّولي في علاج تداعيات الحرب على الأطفال:

بما أنَّ العالم أصبح قريةً صغيرةً، فعلى المجتمع الدّولي المساعدة في علاج تداعيات الحربِ على الأطفال، وإليكم بعض الخطوات التي يجب على المجتمع الدولي[4] اتخاذها لحماية حقوق أطفال الحرب في سورية:

- زيادة الدّعم المالي والموارد اللّازمة للمنظّمات الإنسانيّة والإغاثيّة التي تعمل على تقديم المساعدات والخدمات الأساسيّة للأطفال في سورية والدّول المجاورة، مثل اليونيسف، ومشروع أطفال الحرب.
- الضغط على جميع الأطراف المتصارعة في سورية لوقف جميع أشكال العنف والانتهاكات ضدّ الأطفال، وتجريم تجنيدهم، والالتزام بالقانون الدوليّ الإنسانيّ واتفاقية حقوق الطفل، وإحلال السّلام والأمن في سورية.
- دعم جهود إعادة بناء البنية التحتيّة المدمّرة بسبب الحرب، مثل المدارس والمستشفيات والكهرباء والمياه، وتحسين ظروف المعيشة للأطفال وأسرهم في سورية.
- توفير فرص التعليم والتّطوير للأطفال اللاجئين من سورية في الدول المضيفة، وتسهيل إجراءات إعادة توطينهم أو إدماجهم في المجتمعات المحلية.
- دعم تطوير مجال الصحّة النفسيّة في سورية، وتعزيز قدرات علماء النّفس السوريّين، وتأسيس مراكز نفسيّة مُتخصّصة في رعاية أطفال الحرب، مثل مركز الإرشاد النّفسي والاجتماعيّ للأطفال والأسرة، وكذا تأمين مراكز جراحةٍ طبيّة، وعلاجٍ فيزيائيٍ خاصّةً لمن فقدوا أطرافهم في الحرب.
- إحقاق العدالة لضحايا الحرب في سورية، من خلال تحقيقٍ شاملٍ وشفّافٍ في جميع انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبت ضدّ الأطفال، ومحاسبة المسؤولين عنها، وتقديم التّعويضات للضحايا.

[4] "It Was Really Hard to Protect Myself": Impact of the Armed Conflict in Syria on Children with Disabilities | HRW

خاتمة:

في ختام هذا المقال، نودُّ في تيار المستقبل السوريّ التأكيدَ على أهميّة بحثِ تأثيرات الحرب على الأطفال، وضرورة تفعيل دور علماءِ النّفس السوريّين والمراكز النّفسية اللازمةِ في سورية لعلاج كافّة الظواهر المترتّبة عن الحرب واستمرارها، وغيرِها من الظواهر النفسية التي كانت الحرب سبباً لها، فالأطفال هم أوّل ضحايا الحروب، فتجدهم يعانون من مشاكلَ نفسيّة واجتماعيّة وتربويّة وأخلاقيّة تؤثّر على واقعهم وتلقي بظلالها على مستقبلهم ومستقبل بلدهم.

لذلك، وجب علينا جميعاً العمل على حماية حقوقهم ورفاهيتهم، وتوفير الدّعم والعلاج المناسب لهم، وإعادة إدماجهم في المجتمع بشكلٍ سليم.

تيار المستقبل السوري يرى أنَّ مشكلة أطفال الحرب في سورية هي مشكلةٌ إنسانيّةٌ وأخلاقيّةٌ بامتياز، تستدعي التدخُّل العاجل والشّامل، فلا يمكن أن نترك هؤلاء الأطفال يعانون بصمتٍ بينما أواتُ هدير الطائرات والقصف المستمرّ يعلو فوق كلّ صوت هذا يومنا هذا!!

الباحثة النفسية عفراء الحداد

باحثة في قسم البحوث والدراسات

مكتب شؤون الأسرة

تيار المستقبل السوري